بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد

أولاً: تعريف العلمانية

هي ترجمة خاطئة لكلمة أجنبية وهي Secularism ترجمتها الصحيحة (اللادينية)، أو الدنيوية، وهي دعوة إلى إقامة الحياة على غير الدين، أو فصل الدين عن الحياة.

ثانياً: أسباب قيام العلمانية في أوروبا

1. **تسلط رجال الكنيسة، وجعلهم أمر المغفرة والحرمان بأيديهم؛ حتى أصبحوا أرباباً من دون الله، حتى وصل الحال بالكنيسة أن تبيع صكوك الغفران**
2. **وقوف الكهنة ورجال الكنيسة ضد الفكر والعلم التجريبي**
3. **فقدان المسيحية المحرَّفة أصلاً لنظام الحياة في السياسة والاقتصاد والحكم والاجتماع وغير ذلك من مناحي الحياة، حيث إن الديانة النصرانية المحرَّفة لا تتضمن إلا بعض الأخلاق والآداب، وليس فيها نظام شامل للحياة، ولذلك اشتهر عند النصارى مقولة (دع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله)**
4. **تضمن النصرانية دعاوى باطلة لا تستقيم مع العقل والفطرة، مثل التثليث، والخطيئة، والتكفير**

ثالثاً: بعض الأفكار والمعتقدات التي يدعو لها العلمانيون

1. **العلمانية الغالية تنكر وجود الله أصلاً؛ كما في العلمانية الشيوعية**
2. **فصل الدين عن الحياة، وإقامة الحياة على أساس مادي**
3. **تطبيق مبدأ النفعية (البرجماتية) على كل شيء في الحياة**
4. **اعتماد مبدأ (الميكافيلية) في فلسفة الحكم والسياسة والأخلاق**
5. **الدعوة إلى تحرير المرأة وفق النموذج الغربي**

6. إحياء الحضارات القديمة الجاهلية، كالفرعونية، والفينيقية، وغيرها من الدعوات في العالم الإسلامي
7. اقتباس الأنظمة من المناهج اللادينية في الغرب
8. تربية الأجيال تربية لا دينية، ولذلك تكون التربية الدينية اختيارية في نظم التعليم
9. الدعوة إلى إسقاط أحكام الشريعة في بلاد المسلمين
10. الدعوة إلى القومية

رابعاً: أسباب انتقال العلمانية إلى العالم الإسلامي

بدأت فكرة العلمانية تغزو العالم الإسلامي منذ أكثر من قرن، لكنها لم تتمكن إلا في بداية القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) حيث سرت إلى أكثر العالم الإسلامي، وكان هناك عدة عوامل رئيسة ساعدت على ظهورها بين المسلمين أهمها:

1. الاحتلال الغربي للعالم الإسلامي والسيطرة عليه سياسياً واقتصادياً وعسكرياً
2. الأقليات غير المسلمة في البلاد كالنصارى واليهود عن طريق استغلال الدعوة إلى القومية وعن طريق الأدب ووسائل الإعلام؛ حيث كان النصارى هم أول من أنشأ الصحف والمجلات
3. البعثات التعليمية إلى البلاد الغربية
4. المدارس والجامعات الغربية في البلاد الإسلامية
5. تقدم الغرب الهائل في مضمار العلم المادي والقوة العسكرية
6. تمكن عملاء الغرب والمخدوعين به وأصحاب الاتجاهات والمذاهب المنحرفة من التوجيه

خامساً: سمات العلمانيين

العلمانيون في العالم الإسلامي يعرفون بخصال ومظاهر كثيرة، منها:

1. الاستهانة بالدين والتهكم والاستهزاء بالمتمسكين به
2. إثارة الشبهات ضد الإسلام في عقائده وأحكامه وصلاحيته لكل زمان ومكان
3. ظهور المعاصي على سلوكهم ومظاهرهم وألسنتهم وإشاعة الفواحش

4. الميل إلى التغريب والإعجاب بمظاهر الحياة الغربية وتقليدها والدعوة إلى احتذاء حذوها
5. أنهم من منافقي العصر، فيظهرون أنهم يريدون الإصلاح وهم يسعون في الإفساد
6. الدعوة إلى الإباحية والفوضى الأخلاقية
7. الدعوة إلى تنحية الشريعة عن جميع مناحي الحياة
8. الدعوة إلى تمرد المرأة وخروجها عن طبيعتها وما يقرره لها دينها تحت ستار تحرير المرأة

سادساً: مخالفة العلمانية لأصول الإسلام

1. العلمانية في الجانب التشريعي تعني فصل الدين عن الدولة، أو عن الحياة كلها، وهذا يعني الحكم بغير ما أنزل الله
2. والعلمانية في الجانب العقدي تعني الإلحاد أو التنكر للدين
3. وفي الجانب الأخلاقي تعني الانفلات والفوضى وإشاعة الفاحشة والرذيلة والشذوذ

سابعاً: شبهات العلمانيين وجوابها

معلوم أن طرح الشبهات وإيراد المشكلات دأب أهل الضلالة من قديم، يفعلون ذلك صداً عن سبيل الله واستجابة لداعي الهوى في نفوسهم التي جبلت على الإعجاب بالرأي وإيثار العاجلة على الباقية، وفي القرآن الكريم نماذج لبعض تلك الشبهات التي طرحها المشركون الأولون على الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كقولهم (أنؤمن لك واتبعك الأرذلون) وقولهم (أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون) وقولهم (أبشراً منا واحداً نتبعه إنا إذاً لفي ضلال وسعر) وقولهم (أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء) وجماع ذلك قول الله في القرآن (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون) قال أهل التفسير: نزلت الآية فيمن اعترضوا على تحريم الميتة بقولهم للنبي ﷺ: ما قتله الله حرام وما قتلته بيدك حلال؟ وقوله سبحانه: (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس

والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون) وهم في هذا كله يدّعون أنهم أهل استقامة وسداد وأنهم يرومون الخير للناس (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون)

ودعاة العلمانية في بلاد المسلمين لهم جملة من الشبهات يلبسون بها على أهل الإسلام، وخلاصة تلك الشبهات في هذه النقاط:

1/ قولهم: إن في البلاد ناساً يدينون بغير الإسلام وفي الحكم بالشريعة تضييق عليهم، والجواب أن وجود غير المسلمين في مجتمع يحكم بالإسلام ليس وليد اليوم ولا هي مشكلة طارئة تحتاج إلى بحث، بل منذ أن بعث الله نبيه محمّداً ﷺ وأنزل عليه القرآن وقامت للإسلام دولة في المدينة، وغير المسلمين ـ من اليهود وغيرهم ـ موجودون يعيشون بين ظهراني المسلمين ويمارسون شعائر دينهم! فما الجديد إذن؟ ومتى كان وجود الأقلية في أي مكان أوزمان يمنع الأغلبية من أن تطبق دينها؟ وهل عُهد في تاريخ الإسلام كله إجبار غير المسلم على الدخول في الإسلام؟ يقول جوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب: وكان يمكن أن تُعمي فتوح العرب الأولى أبصارهم وأن يقترفوا من المظالم ما يقترفه الفاتحون عادة، ويسيئوا معاملة المغلوبين ويكرهوهم على اعتناق دينهم الذي كانوا يرغبون في نشره في العالم، ولكن العرب اجتنبوا ذلك، فقد أدرك الخلفاء السابقون ـ الذين كان عندهم من العبقرية السياسية ما ندر وجوده في دعاة الديانات الجديدة ـ أن النظم والديانات ليست مما يفرض قسراً فعاملوا ـ كما رأينا ـ أهل سورية ومصر وإسبانيا وكل قطر استولوا عليه بلطف عظيم تاركين لهم نظمهم وقوانينهم ومعتقداتهم... فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب ولا ديناً سمحاً مثل دينهم.أ.هـ) وغير المسلمين ـ تحت حكم الإسلام ـ في حماية من كل ظلم داخلي أو اعتداء خارجي، وقد قال رسول الله ﷺ: من ظلم معاهداً أو انتقصه حقه كنت أنا خصمه يوم القيامة) بل إن الثابت ـ واقعاً وتاريخاً ـ أن المسلمين كانوا هم المتضررين من تطبيق غيرهم ما يحسبونه ديناً، حيث عانوا في القديم من محاكم التفتيش في الأندلس ـ وقد اعترف بذلك مفكرو الغرب ومؤرخوه ـ وفي التاريخ الحديث ما أمر البوسنه وكوسوفا عنا ببعيد؟ ونقول أيضاً:

إن الالتزام بالتشريع الإسلامي لا يمس حقوق غير المسلمين؛ لأن الإسلام كفل لهم حرية الاعتقاد وتطبيق تشريعهم في الأحوال الشخصية، ومن المعلوم للكافة أن الإنجيل ليس فيه أحكام تشريعية في المسائل المدنية والتجارية، ولهذا يأخذ النصارى في كل دولة بتشريعها في هذا المجال، فضلاً عن ذلك فالقوانين الدولية قد تواترت على إقليمية التشريع في جميع التشريعات إلا في مسائل الأحوال الشخصية، وبمقتضى ذلك يخضع الشخص لقانون الإقليم الذي يعيش فيه. ثم ماذا يضير النصارى أن تمنع الخمور ويحظر الفجور ويلغى الربا ويحارب البغاء؟ هل يزعم أحدهم أن ديناً نزل من السماء يبيح شيئاً من ذلك؟ اللهم لا. لكن منطق الاستبداد الأرعن الذي تمارسه أمريكا على سائر الأمم هو الذي يحملها ـ ومن وراءها من الأذناب كحركة التمرد ـ على أن يحاولوا منع المسلمين من تطبيق شرائع دينهم تحت ذرائع شتى، والحال كما قال ربنا (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء) (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق) لكن العجب العاجب هو أن يرضى بعض من ينتسب إلى الإسلام لنفسه أن يكون مروّجاً لمثل تلك الأباطيل، واضعاً في طريق سيادة الشريعة شتى العراقيل.

2/ قولهم: إن علمانية البلاد علاج للأوضاع وحماية لها من التعصب الديني.

والجواب هو أن العلمانية ما كانت في يومٍ من الأيام علاجاً للتعصب الديني أو الطائفي أو العرقي، ومن كان في شك من ذلك فليرجع إلى تاريخ بلاد ارتضت العلمانية مبدأً ومنهجاً من قديم ـ كالهند ولبنان وتركيا ـ هل حالت العلمانية دون قيام مذابح الهندوس ضد المسلمين في الهند؟ أم حالت دون قيام الحرب الأهلية التي استمرت سنين عدداً في لبنان؟ أم حالت دون اضطهاد الأكراد في تركيا؟ والتاريخ شاهد بأن السودان مثلاً اندلعت فيه حرب الجنوب قبل أن تطبق الشريعة سواء في ذلك التمرد الأول أو الثاني، بل إننا نقول إن المسلمين هم الخاسرون من تطبيق هذا المبدأ الفاسد حيث عهدنا في أكثر البلاد علمانية ـ كفرنسا مثلاً ـ أن تمنع الفتاة المسلمة من ارتداء حجابها في المدرسة، ويباهي وزير داخليتها بإغلاق واحد وعشرين مسجداً وأن ستة مساجد أخرى في طريقها للإغلاق، وفي تركيا الكمالية كان يحظر على الناس ارتداء فأين العلمانية هنا؟ إن علاج

التعصب لا يكون إلا بنشر الوعي وبث العلم وتربية الناس على فن الحوار مع الغير واحترام النظام وأدب الكلام، ولا أنفع ولا أطيب ولا أحسن من هدي القرآن في ذلك (وجادلهم بالتي هي أحسن) (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) (لا إكراه في الدين) (إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ولو أنصفوا لقالوا: إن العلاج يكمن في إعطاء كل ذي حق حقه ورفع الظلم وبسط العدل بتطبيق الشريعة.

3/ قولهم: إن الدين لله والوطن للجميع فلا بد أن يتساوى الجميع في الحقوق والواجبات. نقول: بل الدين لله والوطن لله والحكم لله والخلق عباد الله (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) وماذا يضير غير المسلمين في أن تحكم الأغلبية بشريعتها وترجع إلى أحكام دينها في الأمر كله؟ ثم ماذا لو حدث العكس وكان المسلمون هم الأقلية هل كان يقبل منهم أن يطلبوا إلى الأكثرية التنازل عن هويتهم ومقدساتهم طلباً لمرضاتهم؟ وهاهم المسلمون يعيشون في البلاد الكافرة . في أوروبا وأمريكا . ويخضعون لأنظمة وتشريعات تتعارض مع بدهيات دينهم، ولا يجرؤون على المطالبة بتغييرها أو تعديلها، ولو فعلوا لقيل لهم: هذا هو حكم الأغلبية، إنه لا يقبل شرعاً ولا عرفاً بل ولا ديمقراطياً . وهم أكثر الناس تشدقاً بالدعوة إليها. أن تتخلى الأغلبية عن هويتها ومقدساتها وحضارتها طلباً لمرضاة الأقلية، لا سيما إذا كانت هذه المقدسات لا مساس لها بالحقوق الأساسية المشروعة لهذه الأقليات. ثم لماذا يتخلى القوم عن علمانيتهم القاضية بأن القانون الحاكم يجب أن يكون نابعاً مما ترتضيه الأغلبية؟

4/ قولهم: إن في تطبيق العلمانية ضماناً لعدم استغلال الدين في أغراض سياسية. ولغرابة هذه الشبهة فإننا نستعمل معهم الدور فنقول: علينا ألا نطبق العلمانية لنضمن ألا تستغل في أغراض سياسية، وإن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت. هل يعقل أن يمنع المسلمون من تطبيق أحكام دينهم بدعوى عدم استغلاله ثم يجبرون على نظام مستورد يخالف دينهم وعقيدتهم بل يخالف رغبتهم واختيارهم. (ما لكم كيف تحكمون؟ أفلا تذكرون؟ أم لكم كتاب فيه تدرسون؟ إن لكم فيه لما تخيرون) إن العلمانية ضد الدين لأنها لا تقبل التعايش معه كما أنزله الله بل تريد

إقصاءه عن الحياة وحصره في زاوية ضيقة منها، إنها ضد الدين لأنها تريد أن تأخذ منه ما يوافق هواها وتعرض عما يخالفه، ولأنها تؤمن ببعض الكتاب وتكفر ببعض (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) إنها ضد الدين لأنها تتعالم على الله عز وجل وتقول له: نحن أعلم منك بما يصلح للناس والقوانين الوضعية أهدى سبيلاً من حكمك. إن العلمانية ضد إرادة الشعب في السودان كما أنها ضد إرادة المسلمين الذين رضوا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبالقرآن إماماً، والقاعدة العريضة من مثقفي الأمة . الذين هم أنضج وعياً وأزكى خلقاً وأقوى إرادة . لا يبغون غير الله حكماً ودينه شرعاً

5/ قولهم: إن الشريعة الإسلامية لا يمكن أن تستوعب ملايين القضايا والمشاكل الإنسانية المعقدة، أو أن تقدم حلولاً جاهزة لكل ما يستجد على مسرح الحياة.

والجواب: أن هذا التصور قائم على أساس أن الدين ثابت لا يتغير وأن الحياة في تغير دائم، وأن الحكم بالإسلام من شأنه إلغاء كل اجتهادات البشر وتجاربهم، وإبطال كل عرف واجتهاد لم يرد من القرآن والسنة، وهذا تصور قد حكم الإسلام بفساده فقد شرع الله تعالى للناس قواعد عامة للأمور التي حرمها الله وأمرنا باجتنابها، وأرشدنا أن ما سكت الله عنه فلم يبينه فهو مباح، لنا أن نجتهد فيه في حدود هذه القواعد العامة أي بما لا يحل حراما. قال الله تعالى (وقد فصل لكم ما حرم عليكم) وقد أوضح النبي صلى الله عليه وسلم أن الله سكت عن أمور رحمة بنا غير نسيان، وقال ﷺ (أنتم أعلم بشئون دنياكم) فأمور المعاملات في جوانبها المختلفة من مدنية وجنائية ودستورية منها ما هو ثابت محكم ومنا ما هو متجدد مرن، فالأسس والقواعد الكلية التي تشكل الإطار العام تتسم بالثبات والإحكام، وهي تلك التي جاءت بها الأدلة القطعية ثبوتاً ودلالة، ولا مجال فيها لتعدد الأفهام وتفاوت الاجتهادات، والفروع الجزئية والتفاصيل المتعلقة بالكيفيات والإجراءات ونحوها تتسم في أغلبها بالمرونة والتجدد، ويكفينا قول الله عز وجل (والله يعلم وأنتم لا تعلمون) إن المشكلة لا تكمن في وفاء الشريعة بحاجات الإنسان ومصالحه الحقيقة ولكنها تكمن في كبحها لجماح الأهواء ووقوف أحكامها عقبة في وجه دعاة

العربدة والتحلل، إن أهل الفجور يتهمون الشريعة بالجمود لامحالة؛ لأنها لا تساير ما في نفوسهم من الشهوات والأهواء. فلا تبيح لهم الخمر ولا الرقص المختلط ولا الردة ولا التبعية لكفار الأرض ولا ترويج بضاعة المستشرقين باسم الفكر الإسلامي ولا تزييف التاريخ باسم حرية البحث، هذه هي المشكلة حقاً.

6/ قولهم: إننا متدينون نصلي ونصوم ومع ذلك نعتقد أن العلمانية هي العلاج الناجع والدواء الشافي. نقول: إن العبادات والتشريعات وأحكام المعاملات من عند الله ولا يد فيها للبشر، والإسلام كل لا يتجزأ، فليس مسلماً من قال: أصلي على نظام الإسلام وأتخذ منهجاً سياسياً على نظام ميكافيللي، ونظاماً اقتصادياً ماركسياً، كيف يكون الشخص متديناً وهو يرفض حكم الله وحكم رسوله، وصريح القرآن يقول (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبينا) ويقول (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون) وهذا الفهم المغلوط للتدين هو الذي حمل بعضهم على أن يحج ويعتمر وينتسب إلى بيوتات دينية ثم لا يبالي بالجلوس على مائدة يدار فيها الخمر أو يراقص الفتيات لأن التدين في فهمه الكاذب الخاطئ قاصر على جانب الشعائر وحدها ولا علاقة له بمعتقد أو سلوك.

7/ ادعاؤهم بأن العلمانية فكرة حديثة نابعة من نظام الدولة الحديثة، والجواب أنها ليست فكرة حديثة بل هي فكرة صدئة قديمة، وقد جاء الإسلام لينقض أركانها، ألم تسمع قول قوم مدين لنبيهم شعيب متعجبين ما دخل الصلاة بالاقتصاد مطالبين إياه بالفصل بينهما داعين للحرية الاقتصادية في شكلها الرأسمالي المتوحش {قَالوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ} نفعل في أموالنا ما نشاء ليست حداثة بل رجعية وذلك عندما دعاهم نبيهم شعيب إلى مفهوم توحيدي أوسع من التوجه إلى الله بالصلاة فقط إلى التوجه إليه بالاقتصاد ايضا (وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ)

8/ ادعاؤهم بأن الدين علاقة خاصة بين العبد وربه!! جوابه أن مقتضى هذا القول تنحية مئات الآيات التي تتناول الأحكام الشرعية في السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة والقضاء والعلاقات الدولية ونحو ذلك؛ فما يطالب به العلمانيون من إبعاد الدين عن الحكم والسياسة إنما هي دعوة لإبعاد الدين من وظيفته الأساسية، والعلماني الذي يقول: أنا أحترم الدين لكن فقط لا نريده يدخل في الدولة! إنما كحال من يقول لشخص شيوعي: أنا أحترم الشيوعية فقط لا نريدها تدخل في الاقتصاد!! فإنه سيتعجب من هذه العبارة؛ لأن الشيوعية أصلا نظرية اقتصادية فسيقول لك (ماذا يفيدها احترامك وقد منعتها من التدخل فيما كتبت له) وجوابنا للعلماني أن نقول: نحن من قولك عن الدين أشد عجبا منه لأن الدين ما هو إلا منظومة سياسية متكاملة وضعت تشريعات للمسلم ولغير المسلم فإذا منعناه من التدخل في السياسة فما هي وظيفته أصلا؟!